

خطبة الجمعة، 09.12.2016

بَيْنَمَا يَبْكِي الْمَظْلُومُونَ دَمًا

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْكِرَامُ !

يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي سُورَةِ التَّوْبَةِ، وَاصِفًا نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ } . وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَيْضًا مُخَاطِبًا رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { وَ مَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ } . وَ إِنَّ الرَّحْمَةَ الَّتِي اتَّصَفَ وَ تَخَلَّقَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَ الَّتِي وَسِعَتْ لِنَشْمَلِ الْعَالَمِينَ جَمِيعًا، لَتَشَكَّلَ "أَسْوَةٌ حَسَنَةٌ" لِلْإِنْسَانِيَّةِ جَمْعًا. وَ إِنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَبْرُزُ بَيْنَ جَمِيعِ الشَّخْصِيَّاتِ الْعَظِيمَةِ فِي التَّارِيخِ الْإِنْسَانِيِّ بِشَفَقَتِهِ وَ رَحْمَتِهِ بِالْخَلْقِ. وَ بِهِذِهِ الْمُنَاسِبَةِ نَرْجُو أَنْ تَكُونَ حَقْلَةُ الْمَوْلِدِ النَّبَوِيِّ الَّتِي سَنَقِيمُهَا فِي نَهَايَةِ الْأُسْبُوعِ، وَسِيْلَةً تُذَكِّرُنَا بِأَخْلَاقِ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

إِخْوَتِي الْكِرَامُ !

إِنَّ الْإِنْسَانَ فِي الْأَسَاسِ أَشْرَفُ الْمَخْلُوقَاتِ. وَ أَهْمٌ وَصِفٌ يُمَيِّزُهُ عَنِ غَيْرِهِ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ، هُوَ الْإِرَادَةُ الَّتِي أُوْدِعَهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى فِي كِبَانِهِ. فَبَيْنَمَا يَغْلُوا عَلَى الْمَلَائِكَةِ مِنْ وَجْهِهَا إِرَادَتُهُمْ هَذِهِ الْوَجْهَةَ الَّتِي يُرْضِي اللَّهُ، يَنْحَطُّ أَقْوَامٌ آخَرُونَ وَجْهًا تِلْكَ الْإِرَادَةَ فِيمَا يُغْضِبُ الرَّبَّ عَزَّ وَجَلَّ، حَتَّى يَكُونُونَ أَسْفَلَ وَ أَضَلَّ مِنَ الْبِهَائِمِ. حَيْثُ اتَّخَذُوا نِعْمَةَ الْإِرَادَةِ هَذِهِ وَسِيْلَةً لِإِضْرَارِ النَّاسِ بَلْ وَ بِأَنْفُسِهِمْ أَيْضًا. فَمَنْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَ ضَلَّ عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ الَّذِي هُدِينَا إِلَيْهِ عَنِ طَرِيقِ الرُّسُلِ وَ الْأَنْبِيَاءِ، كَانَ مُفْسِدًا بِيَدِهِ لِدُنْيَا وَ آخِرَتِهِ مَعًا.

إِخْوَتِي الْكِرَامُ !

إِنَّمَا نَشَاهِدُ عِبْرَ وَسَائِلِ الْإِعْلَامِ، الظُّلْمَ الَّذِي يَسْتَبِيحُهُ النَّاسُ لِبَعْضِهِمْ فِي جَمِيعِ الْأَقَالِيمِ الْمَظْلُومَةِ، وَ عَلَى رَأْسِهَا حَلَبُ وَ أَرَاكَانَ. فَالنَّاسُ الَّذِينَ يَتَعَرَّضُونَ لِلْقَتْلِ وَ التَّعْذِيبِ، وَ النِّسَاءُ اللَّائِي يُعْتَصَبْنَ، وَ جُمَانُ الْأَطْفَالِ وَ الرُّضْعُ تَمَلُّ الشَّاشَاتِ. وَ تَبْكِي فُؤَادَ أَصْحَابِ الضَّمَانِ دَمًا، وَ يَخْتَارُ أَصْحَابُ الْعُقُولِ مِنْ صُمُوتِ الْإِنْسَانِيَّةِ فِي مُوَاجَهَةِ كُلِّ ذَلِكَ. فِي الْعَصْرِ الْحَدِيثِ وَ فِي وَسْطِ الْعَالَمِ وَ أَمَامَ أَعْيُنِ الْجَمِيعِ تَحْدُثُ هَذِهِ الْأُمُورُ ! وَ مِنْ نَاحِيَةِ أُخْرَى يَحَاوِلُونَ أَنْ يَرُوجُوا لَنَا تَقَدُّمَ الْإِنْسَانِيَّةِ وَ تَطَوُّرَهَا بِالنِّسْبَةِ لِلْعُصُورِ الْقَدِيمَةِ. فَأَيُّ تَطَوُّرٍ هَذَا وَ أَيُّ تَقَدُّمٍ ؟! كَلَّا ! إِنَّ الْإِنْسَانِيَّةَ لَمْ تَأْخُذِ الْعِبْرَةَ مِنَ النَّجَارِبِ الْمَرَّةِ الَّتِي عَاشَتْهَا فِي الْمَاضِي. وَ لَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تَفْهَمَ بَعْدَ، أَنَّ السُّكُوتَ عَنِ الظُّلْمِ لَا تَقَلُّ حَطًّا عَنِ الظُّلْمِ نَفْسِهِ، وَ لَا أَنْ تَتَعَلَّمَ أَنَّ بِالصَّمْتِ يُشْتَرَكُ فِي شَيْءٍ أَلْوَانَ الظُّلْمِ.

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْكِرَامُ !

أَمَّا نَحْنُ، فَلَا يَسَعُنَا أَنْ نَرْضَى عَنِ هَذَا الظُّلْمِ، وَ لَا أَنْ نَعْتَبِرَ الْقَائِمِينَ بِهِ أَنَاسِي. إِنَّمَا نُنْدِينُ مَنْ يَتَعَامَلُونَ هَذِهِ الْمُعَامَلَةَ الَّتِي لَا تَلِيْقُ بِالْكَرَامَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَ نَلْعَنُهُمْ. وَ نُغْلِنُ بِأَنَّا نَقَفَ إِلَى جَانِبِ إِخْوَانِنَا الْمَظْلُومِينَ، وَ إِنْ لَمْ نَسْتَطِعِ الْوُصُولَ إِلَيْهِمْ بِأَبْدَانِنَا. وَ لِهَذَا، سَنَقُومُ عَقِبَ فَرِيضَةِ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ، بِإِدَاءِ صَلَاةِ الْجَنَازَةِ الْغِيَابِيَّةِ عَلَى أَرْوَاحِ الشَّهَدَاءِ فِي جَمِيعِ الْأَقَالِيمِ الْإِسْلَامِيَّةِ عَامَّةً وَ فِي حَلَبِ وَ أَرَاكَانِ خَاصَّةً. وَ يَوْمَ الْأَحَدِ، سَنَقُومُ بِدُعَاءِ جَمَاعِي بَعْدَ صَلَاةِ الْفَجْرِ. وَ لَا بُدَّ مِنْ أَنْ نُنَبِّهَ هُنَا عَلَى شَيْءٍ مَهْمٌ، وَ هُوَ أَنَّ مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ لَا نَحْرُزُ عَلَى قَتْلِ إِخْوَانِنَا فِي الدِّينِ فَحَسْبُ. وَ إِنَّمَا يَشْمَلُ حَزْنُنَا جَمِيعَ الْإِنْسَانِيَّةِ، تَاسِيًا بِرَسُولِنَا الَّذِي وَسِعَتْ رَحْمَتُهُ وَ شَفَقَتُهُ الْعَالَمِينَ جَمِيعًا. نَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُصَلِّحَ الظَّالِمِينَ ! إِنَّهُ لَيَعْلَمُ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ، أَنَّ النَّاسَ فِي الْمَحْشَرِ لَنْ يُحَاسَبُوا عَلَى مَا عَمِلُوهُ مِنَ الظُّلْمِ فَقَطْ، بَلْ إِنَّهُمْ سَيُحَاسَبُونَ عَلَى سَكُوتِهِمْ عَنِ الظُّلْمِ أَيْضًا. نَسْأَلُ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يُعَامِلَنَا فِي الدَّارَيْنِ بِرَحْمَتِهِ الْوَاسِعَةِ فَضْلًا عَنِ عَدْلِهِ.